حرفة الصياغة
قديما وحديثا في مدينة الموصل

م. مرح مؤيد حسن*

تاريخ استلام البحث ٢٠١١/١١/٢٤
تاريخ قبول النشر ٢٠١٢/١/٢٥

ملخص البحث:

إن حرفة الصياغة من الحرف الشعبية التي تعرضت إلى تغييرات في طرق وأساليب الصناعة والأدوات المستخدمة فيها مثلما تعرضت بقية مفاصل الحياة إلى هذا التغيير، وهذا البحث جاء ليعطي صورة واضحة عن تلك الحرفة كيف كانت وكيف أصبحت من خلال الإلمام بكل تفصيلات الحرفة في مدينة الموصل كنموذج للدراسة، ومن أهم ما توصل إليه البحث إن المكننة الحديثة والكهرباء والقوالب الجاهزة حلت محل العمل اليدوي وكذلك احتل الذهب المصاغ والمستورد المكانة الأرقى مقارنة بالذهب العراقي المحلي.

THE OLD AND RECENT GOLDMITH PROFESSION IN MOSUL CITY

Lect. Marah Moaayad Hasan

Abstract:-

The goldsmith profession is one of the public profession that is subjected to changes in the methods, industrial styles and tools used for performance, just as other life joints were changed. The aim of the present work is to give a clear picture on this profession, how it was and how it comes at the present time through knowing all the details of this profession in Mosul city as an example of this study. The most important fact that this study revealed is that the

* مدرس/ مركز دراسات الموصل/ جامعة الموصل.

machineries the use of electricity and the already made casts were replacing the manual work. The imported already worked gold items stood the first compared with locally worked gold.

المقدمة:ـ

الحرف الشعبية مرآة صادقة للمجتمع الذي تعيش فيه،إذ تعكس أفكار المجتمع وثقافته بما حوت من معتقدات وتقاليد وعادات وتبرز مميزاته المادية والروحية، وقصارى القول إنها محصلة تفاعل كل هذه القوى والعوامل مجتمعة تصاغ في أسس وطرق عمل.

وحرفة الصياغة إحدى هذه الحرف التي ترتبط بالمجتمع ارتباطا وثيقا، فأشكال ما ينتجه الصائغ مستمدة في كثير من الأحيان من تراث وتاريخ المجتمع وأحيانا أخرى من عناصر الطبيعة،غيران تطور المجتمعات وما رافقه من تغيرات أثر بدوره على تلك الحرفة وغيرها وطور من طرقها وأدواتها ونماذجها وما إلى ذلك.

جاء هذا البحث ليتناول حرفة الصياغة وتطورها في مدينة الموصل إحدى المدن العراقية في ثلاثة مباحث، الأول كان توضيحا للإطار المنهجي للبحث من تحديد لفكرة البحث وأهدافه وأهميته ونوعه وأدواته وعرض التعاريف المهمة فيه، والمبحث الثاني تناول فقرات عدة اهتمت بحرفة الصياغة وهذه الفقرات هي:-الذهب وصياغته عبر التاريخ، استخراج الذهب وتسويقه، سوق الصاغة في الموصل، أنواع (الذهب، الصياغة، الصاغة، المصوغات)، مراحل الصياغة، أدوات ومواد الصائغ، ، تنظيم حرفة الصياغة، الذهب والأبعاد الاجتماعية، أما المبحث الثالث فتضمن خلاصة البحث تناولنا فيها أهم الاستنتاجات والمقترحات والتوصيات لتطوير حرفة الصياغة في مدينة الموصل .

المبحث الأول / الإطار المنهجي للبحث

تحديد موضوع البحث

تعد الصياغة إحدى الحرف الشعبية التي يفخر بها العراق عبر تاريخه فقد أشار الرحالة البرتغالي (تكسيرا) الذي قدم بغداد عام ١٦٠٤م إلى وجود سوق كبير للصاغة فيها وهذا يدل على قدم وجود هذه الحرفة وأصالتها في العراق وقد كان المسلمون يعملون في هذه الحرفة إلى جانب اليهود والصابئة الذين اشتهروا بصياغة الفضة.

إن هذه الحرفة قد أصابها التطور الذي أصاب الحياة بأكملها بجوانبها المختلفة، فمنذ سنوات خلت كانت صياغة الذهب والفضة معتمدة على مهارة الأيدي العاملة وفنهم أي الصناعة اليدوية المحلية وهي صناعة تحتاج إلى جهد ودقة عالية ثم تحولت هذه الصناعة في بعض خطواتها إلى استخدام الآلات والقوالب الجاهزة في العمل وتحول الحرفي الماهر في فن الصياغة إلى تاجر أو شبه تاجر،وتحول العمل الصعب إلى عمل أسهل وتحول الفن في الصياغة إلى تقليد وما إلى ذلك من تطورات أخرى حدثت لهذه الحرفة.

من هنا انطلقت فكرة هذا البحث لبيان كل ما يتعلق بحرفة الصياغة في الماضي والحاضر ومعرفة الفروق والتطورات التي واكبت هذه الحرفة الجميلة الأصيلة من خلال عرضها في مدينة الموصل كنموذج للمدن العراقية الشهيرة بهذه الحرفة.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى معرفة طبيعة وخصائص حرفة شعبية عريقة هي حرفة (الصياغة) في الماضي والحاضر وما وصلت إليه من تطورات.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في كونه من البحوث التي تناولت حرفة شعبية عريقة في مدينة الموصل (حرفة الصياغة) بالبحث والدراسة في الماضي والحاضر، إذ لا توجد دراسة متكاملة عن مثل هذه الحرفة سوى معلومات متناثرة بين الكتب والمصادر هنا وهناك.

كما تعد هذه الدراسة تسجيل لتراث مدينة الموصل في جانب من جوانبه وهو جانب الحرف والصناعات الشعبية يمكن المهتمين بدراسة هذا التراث الاستعانة بها.

نوع البحث وأدواته

يعد البحث من البحوث الوصفية التحليلية استعانت الباحثة في جمع فقراته بما ذكر عن هذه الحرفة من الكتب والمراجع وباقي الأدبيات، كما استعانت بمعلومات عدد من الصاغة الحاليين الذين قامت بمقابلتهم فضلا عن ملاحظة الباحثة لهذه الحرفة في مدينة الموصل كوتها من سكنه هذه المدينة.

تاريخ انجاز البحث

استغرق انجاز البحث ٣ أشهر من ٢٠١١/٩/١ إلى ٢٠١/١٢/١

تحديد المفاهيم والمصطلحات

الحرفة

الحرفة أو الصناعات الحرفية أو الصناعات الصغيرة أو الصناعات اليدوية تعابير مختلفة تصب في معنى واحد هو العمليات الإنتاجية التي تصنع باليد وهي غالبا ما تنفذ بعدد بسيطة لا تتعدى الفأس والمطرقة وما شابهها[١]، وقد تكون هذه الصناعات بيتيه أو في ورش عمل وتتميز منتجاتها بصفة فنية وتتطلب مهارة مهنية[٢] ، ومن أمثلة هذه الحرف: النجارة، الحدادة، صناعة الفخار، النسج، الخياطة، صناعة السلال والحصران، الصياغة.

الصياغة

هي من الحرف اليدوية الدقيقة وهي على نوعين: صياغة الذهب وصياغة الفضة ، وكان لكل من هذين النوعين صاغه متخصصين[٣] يصنعون الحلي الذهبية والفضية وغالبا ما تكون نسائية كالحجول والأساور والأقراط وقد تكون بعض الحلي خاصة بالأطفال مثل (المحمدية) و(ما شاء الله) وللرجال هناك الخواتم وأزرار الثياب.

أما التعريف الإجرائي للصياغة: هي عمل يؤديه شخص يدعى الصائغ يقوم بصنع الحلي المختلفة من مادة الذهب وقد تدخل الفضة والأحجار الكريمة في تلك الصناعة، تستخدم فيها مواد معينه وأدوات خاصة وتحتاج إلى يد فنية في الإنتاج ومهارة وإتقان للعمل وقد تساعد الآلة في انجاز بعض الخطوات، وهي ذات مردود اقتصادي جيد للعاملين فيها.

الصائغ

هو من يعمل في صناعة الذهب والفضة ويغيره من شكل إلى آخر حسب الطلب[٤] وهناك عدد من الصفات التي يجب أن تتوفر في الصائغ هي المهارة في العمل والصدق في التعامل والدقة في الوزن وصفاء الذهن وقوة الملاحظة وقوة النظر.

المبحث الثاني/ الصياغة في مدينة الموصل

الذهب وصياغته عبر التاريخ

لم يحظ معدن عبر التاريخ بالاهتمام البشري مثلما حظي الذهب به، إذ يمكن القول بان تاريخ الذهب مرتبط بتاريخ البشرية والحضارة حتى إن الأديان السماوية أشارت إليه في كثير من المواضع فقد ذكر الذهب في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وقد عرفته أيضا الحضارة البابلية والآشورية والفرعونية ، عرف الذهب كوسيلة للزينة ودلالة على الثراء والجاه إذ أن ملوكا وأباطرة لبسوا الذهب وحملوه

تعبيرا عن الرخاء والغنى، فيما حفظ ملوك آخرون رفاتهم بتوابيت من الذهب بعد أن حفظ التابوت مقتنياتهم الذهبية[٥]، وقد اهتمت به النساء اهتماما كبيرا فلم تكن شبعاد الملكة السومرية أولى النساء عشقا للذهب فصنعت قيثارتها من الذهب فضلا عن استخدامهن له كزينة، وعلى المستوى الدولي استخدم الذهب كتعبير عن القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وكان الذهب سببا مباشرا لاحتلال الأراضي والدول[٦].

وعند الحديث عن الذهب وصياغته عبر تاريخ العراق الذي كان وما يزال موطن الحضارات والفنون فقد ازدهرت على ضفافه أشكال مختلفة من الفنون انتقلت إلى العالم في كل مكان وكانت موضع إعجاب وتقدير،اذ نجد إن فن الصياغة من الفنون التي عرفها التاريخ العراقي القديم فقد كان الصائغ الأشوري قادرا على وضع تصاميم دقيقة وظريفة تناسب أعناق الأميرات ومعاصم الملوك، وقد عثر في أسس قصر سرجون في نينوى على بقايا قلائد من أحجار العقيق الأحمر والأزرق مصاغة بأشكال عجيبة كان الملوك يضعوها في أعناقهم فضلا عن الأقراط الكبيرة التي كان الإله والملوك يضعوها في آذانهم بكثرة[٧]، وقد عثر في القبور الملكية بمدينة اور على رقائق مطروقة من الذهب والفضة كما وجدت بعض الملابس مطرزة بالذهب والفضة ومصباح برونز مطعم بالذهب[٨].

وبتقدم التاريخ ذكر الذهب في الكتب وكثر المنقبون عنه والمشتغلون به ففي القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) إذ وصلت الحضارة الإسلامية إلى أوجها زينت قصور الخلفاء بشتى أنواع الجواهر والمعادن التي جلبت من مختلف أصقاع الدولة الإسلامية ، واهتم كثير من الكيميائيين بطرق تنقية هذا المعدن فذكر البيروني في كتابه (الجماهر في معرفة الجواهر) طرق تنقية الذهب وهو ما لا يختلف كثيرا عن الطرق المستخدمة اليوم[٩] .

أما عن صياغة الفضة فيعود تاريخها إلى ١٧٠٠م تقريبا وقد جاء بها الأرمن من تركيا كحرفة وخاصة من مدينة (يوان) الجبلية[١٠].

وعموما فان فلكلورنا العراقي الذي يعبر عن مهارة وخبرة الفنان العراقي وما ابدعتة يده من مصنوعات شعبية وصناعة الذهب إحداها ماهي إلا امتداد لإرثنا الخالد عبر التاريخ.

استخراج الذهب وتسويقه

الذهب فلز اصفر براق على هيئة كتل بإمكانها عكس الضوء أما صفائحه الرقيقة فتبدو خضراء اللون أو زرقاء، والذهب المقطع تقطيعا دقيقا مثل المساحيق فيتميز باللون الأسود، والذهب موصل جيد للحرارة والكهرباء وهو من أكثر المعادن القابلة للطرق والسحب وهو لا يتأثر بالهواء والحرارة والرطوبة ويذوب في الماء الملكي(مزيج من حامض الهيدروكلوريك والنتريك المركزين).

استخدم الذهب كمجوهرات ثمينة فضلا عن استخدامه عملة أو احتياطي للعملات كما استخدم في صناعة الدوائر الكهربائية الدقيقة لأنه موصل جيد وذو مقاومة عالية للصدأ والتآكل وكذلك يستخدم على شكل رقائق في الطلاء والكتابة بالذهب ويستخدم كذلك في طب الأسنان وتغليف الأدوية وله استخدامات أخرى متعددة[١١].

يوجد الذهب في القشرة الأرضية كقطع مستقلة أو ممزوجا مع الفضة أو النحاس أو البلاتين كما يوجد في قعر البحار أو المناجم إذ ..... يقدر الخبراء الكميات الموجودة في أعماق المحيطات بمليار طن، وعندما يستخرج الذهب يكون مخلوطا بمواد أخرى يتم تصفيتها بإضافة التيزاب المركز في كأس من الستيل إلى الذهب وعندما يغلي المزيج تتبخر المواد ويبقى الذهب[١٢]، وقد تجري تنقية الذهب بفصل الأتربة والشوائب الأخرى بواسطة تيارات مائية قوية تزيل الدقائق الرملية والغرينية وتبقى دقائق الذهب في أماكنها نظرا لارتفاع كثافة الذهب،

وقد يستعمل الزئبق لإذابة الذهب دون الرمل والغرين ثم يخلص الذهب من الزئبق بالتقطير[١٣]، وهناك طرق أخرى لتنقية الذهب واستخلاصه، وفي سوق الذهب الآن هناك من يسمى (المصفاجي) وظيفته تنقية الذهب وتصفيته.

يسمى الذهب المستخلص بهذه الطرق بالذهب الخام أو الذهب الخالص عيار(٢٤) وهو ذهب لين من الصعب تشكيله يقوم الصائغ بعد استلامه بإضافة النحاس إليه وكلما زادت كمية النحاس المضافة قل عياره فهناك ذهب عيار(٢١) وهو المفضل الذي يضاف إليه النحاس بنسبة(٠,٨٧٥%) وهناك ذهب عيار(١٨) وهكذا[١٤].

والوحدة المستخدمة في وزن الذهب هي(الاونسة) ورمزها oz وتعادل٢٨,٣٤٩٥٢٣٦٢٥ غراما وتسمى أيضا الأوقية، والكيلو الواحد من الذهب يساوي(٢٠٨) مثقال و(٨) حبة[١٥] .

ودائما ما يرتبط سعر الذهب بسعر العملات العالمية كاليورو والدولار حيث يقابل كل مثقال من الذهب ب(٠٠) دولار من ثمن الصياغة، فعندما ترتفع أسعار الذهب يكون هناك ارتفاع للعملات الأخرى ، وفي قرون خلت كان الذهب والفضة يستخدمان استخداما مباشرا كعملتين[١٦].

أما تسويق الذهب في العراق فقد كان شارع النهر الكاظمية والكرادة الأسواق القديمة للصاغة وتمثل بورصة للذهب بعمل فيها تجار جملة الذهب يبيعون سبائك الذهب أو الذهب المصاغ المستورد من الإمارات العربية والهند وتركيا وايطاليا، وتجري عملية دمغ الذهب وفحصه من قبل الأجهزة الحكومية بعد استيراده ومن ثم تسويقه إلى الصاغة، بعد ذلك وتحديدا بعد ثورة عبد الكريم قاسم سيطرت الحكومة على هذه التجارة وأصبح بيع الذهب مقصورا على البنك المركزي العراقي إذ لكل صائغ حصة معينة من الذهب يستلمها حسب هويته وإجازته التي تثبت انه صائغ ويسلم على شكل سبائك ذهبية تزن ربع أو نصف أو واحد كيلو غرام[١٧].

وبعد احداث٢٠٠٣ وانهيار العراق بدخول القوات الأمريكية الغي دور البنك المركزي في بيع الذهب ولم يعد هناك محاسبة ولم يعد جهاز التقييس والسيطرة النوعية يعمل على ختم الذهب للصائغ حسب عيار الذهب المقدم مثلما كان سابقا وأصبح تجار الذهب يستوردونه إما سبائك أو مصاغ، وبهذا فقد الذهب العراقي قيمته ومصداقيته وفنيته التي كان عليها إذ أصبح هناك صياغ مهمتهم الأساسية عرض ما يشتروه من الذهب المصاغ وبيعه وهو ما يسمى بالعامية (صابغ جام)، أما أسعار بيع وشراء الذهب فهي متذبذبة بين الصعود والهبوط والصائغ وتجار الذهب يعتمدون على التلفاز ومنها قنوات البورصة (الاقتصادية مثلا) لمعرفة سعر الذهب.

سوق الصاغة في الموصل

إن اغلب المدن العراقية تضم الآن أسواقا خاصة بالصاغة تجري فيها عمليات صياغة الذهب والفضة والمتاجرة بهما من بيع وشراء، إذ توجد أسواق خاصة للصاغة في بغداد

والموصل والعمارة واربيل على سبيل المثال لا الحصر.

ومدينة الموصل اتسمت ومنذ زمن بتقسيم الأسواق المحلية فيها حسب أصناف المهن والحرف الشعبية فكان هناك سوق للصاغة وللبزازين وآخرللصفاريين وهكذا، وقد انقرض بعضها أو تحول إلى أشكال أخرى وحافظ البعض الأخر من هذه الأسواق على أصالته ومنها سوق الصاغة الذي أجريت عليه بعض التحويرات لكي يبدو أكثر جمالية وعصرية والذي يبدأ ببوابة عباسية الطراز مطلة على شارع النجفي ولا ينتهي بمكان محدد إذ جرى توسيعه ودمجه بأسواق أخرى ليحتل مجموعة من الأزقة[١٨].كما تم تسقيفه وصف أرضيته بالشتايكر عام ٢٠٠٨.

وترجع نشأة سوق الصياغ في مدينة الموصل إلى عهد العثمانيين فقد افتتحوا سوقا خاصا بصياغة الذهب في عهد الوالي سنان باشا(١٥٩٠م) يمتد من شارع النجفي شمالا وينتهي بشارع غازي ويمتد في ممرين وقيساريات صغيرة وكان

حرفة الصياغة قديما وحديثا في مدينة الموصل

الموقع سابقا سوق لصناعة الأحذية إذ كان الصاغة في السابق يجعلون من دورهم مقرا لعرض أعمالهم يعرضوها في سوق الصوافة منها (الدهاشي وما شاء الله من الذهب والحجل والجنجل والخواتم من الفضة)، وقد أصبح السوق في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين يضم قسمين رئيسين هما قسم لصياغة الذهب معظمه بيد المسلمين وقسم لصياغة الفضة معظمه بيد الصابئة ، وأصبح بعد الحرب العالمية الثانية يضم أكثر من ٥٠ مسلما و١٨ نصرانيا و١٦ يهوديا [١٩]

ولا ننسى أن نذكر إن سوق النبي يونس الذي يقع في الجانب الأيسر من مدينة الموصل بدأ ولسنوات خلت باحتضان عدد من محلات وورش للصاغة يقومون بنفس الأعمال التي يقوم بها الصاغة في سوق الصياغ الأصلي الذي يقع في الجانب الأيمن من المدينة.

أنواع/ الذهب.. الصياغة ..الصاغة.. المصوغات

إن الذهب وجد على أنواع وتسميات مختلفة فهناك ذهب الليرة وهو أجود أنواع الذهب وذهب الباطي وهو الذي يوضع في وعاء من الفخار بعد صهره وهو ناتج من صهر المصوغات القديمة واستخراج النحاس منه والقيام بوضع معيارية جديدة له، وذهب الرمل وهو الذهب الخالي من الشوائب[٢٠].

ويمكن تقسيم الصياغة إلى نوعين رئيسين الأول الصياغة الدقيقة الكلاسيكية والنوع الثاني الصياغة المبسطة، تتمثل الأولى بقطع أجزاء صغيرة من صفائح المعدن (الذهب أو الفضة)أو أسلاك المعدن وإجراء عمليات التشكيل كاللف والبرم علبها ثم تقطيعها وترتيبها إلى أشكال أخرى صغيرة دقيقة جدا بأشكال دائرية أو مربعة أو مقوسة أو غير ذلك، أما الطريقة المبسطة تتم بقطع أجزاء صغيرة وكبيرة بهيئة هندسية كالمثلث أو الدائرة أو الهلال وتجري عليها عمليات أخرى كالتثقيب والتخريم والنقش[٢١]، وحديثا فأن القوالب الجاهزة هي المعول عليها في العمل فهناك

قوالب الليرة والقوالب المربعة أو الدائرية وهناك قوالب بنقوش وزخارف معينة تسهل على الصائغ العمل وتختصر الوقت والجهد وتمكنه كذلك من إنتاج كميات اكبر.

والصاغة العراقيون يميلون إلى استخدام الزخارف الشعبية في مصوغاتهم أو تجسيم حيوانات أو نباتات أو مواقع أثرية كأسد بابل، الملوية، الثور المجنح وخاصة في الحلي والتحف الفضية فضلا عن استخدامهم التخريم في الصياغة، كما يستخدمون الميتا الزرقاء مع المصوغات الذهبية والميتا السوداء مع المصوغات الفضية[٢٢]،و تضاف إلى بعض المصوغات فصوص من الشذر والياقوت والألماس كما زاد استخدام اللؤلؤ الصناعي بكثرة[٢٣].

أما عن الصاغة ، كان الصائغ يعمل في ورشته ومعه مساعدون يقومون بأعمال محددة فمنهم من يتفنن بالنقش والزخرفة وآخرون يعملون على تزويق المعدن بالأحجار الكريمة والفصوص وهكذا فصناعة القطعة الفضية أو الذهبية تمر بعدة مراحل وهذا التخصص وتقسيم العمل موجود إلى وقتنا الحاضر فهناك من يقوم بحلج الذهب وأخر يقوم بصب القالب إلى أخره بل هناك تخصص أكثر من ذلك فهناك مثلا صائغ يجيد ويختص بصياغة أقراط وأساور معينة وهكذا، كما يمكن تقسيم الصياغ حاليا إلى صائغ يصوغ الذهب وينتجه وصائغ تاجر للذهب يبيع ويشتري فيه.

والذهب يصنع منه مصوغات وحلي مختلفة تلبس في عدة مناطق من جسم المرأة وعلى ملابسها فمن مصوغات ألبسة الرأس الكلاب والطاسة ، ومن مصوغات الوجه العران والخزامة والدهاشي، أما مصوغات الحلق فهي المسبحة والكردانة والمنتشي والمحمدية، أما مصوغات الوسط فهي الحزام، ولليد هناك الخواتم والأساور والزنادي وللرجل هناك الحجول والجناجل والأقراط للأذان [٢٤] هذه هي المصوغات التقليدية وهناك مصوغات أخرى مثل كتابة الأسماء على شكل قلادة باللغة العربية والأجنبية والقرآن المذهب وغيرها كثير.

أما المصوغات الفضية فمتنوعة منها الملاعق والشوكات والسكاكين وأباريق القهوة والشاي وعلب السكائر والمباخر وقبضات وأغماد السيوف والخناجر فضلا عن الحلي من مشابك أغطية الرأس والأقراط والعقود والخواتم والأساور وغيرها[٢٥].

مراحل الصياغة

تمر صياغة الذهب والفضة بعدة مراحل يقوم بها الصائغ بعد استلام الذهب الذي يكون على شكل سبيكة أو ذهب مستخدم (ذهب كسر) ويقوم بتحويله من شكل إلى آخر، وهذه المراحل هي السبك والصب والحلج والقص واللحام والجلي والتهليش[٢٦].وفيما يلي توضيح لهذه المراحل:-

السبك/ هي تحويل الذهب من حالته الصلبة إلى الحالة السائلة وذلك بصهره في درجة حرارة ٣٠٠م° وكان الصائغ في السابق يستخدم المنفاخ اليدوي والكور الذي يعمل على الفحم أو النفط في عملية الصهر ثم تحول إلى استخدام الغاز لذلك، وفي هذه الخطوة يتم تعيير الذهب بإضافة النحاس إليه ليصبح عيار ٢١ أو ١٨.

الصب/ بعد سبك الذهب يصب في قوالب حسب الحاجة والاستخدام ويستخدم الصائغ لذلك(الغيزك) وهي قطعة حديدية تحتوي على خطوط محفورة رفيعة أو عريضة حسب الحاجة المراد صياغتها.

الحلج/ يقوم الصائغ بهذه العملية بعد انتهائه من مرحلة الصب أو يدخل مباشرة في الحلج إذا كانت لديه قوالب جاهزة بعيارات محددة، في هذه المرحلة تحول قوالب الصب أو السبائك إلى أشكال أدق تفصيلا حيث ترفع القطعة الذهبية وتصبح اقل سمكا، وحلج الذهب ألان يتم بواسطة آلة كهربائية أما في السابق فكان الصائغ يستخدم المطرقة والسندان لذلك.

الجر/ ويستخدم الصائغ في هذه المرحلة قطعة حديدية تدعى(الالماصة) وفيها يحول الذهب إلى شكل أدق شبيه بالخيط يلف على عمود خشبي ليصبح أشبه بالكرة.

القص/ بعد ذلك تقص تلك الخيوط أو الأشرطة الذهبية وتفصل حسب الحاجة المطلوبة للصياغة.

اللحام/ وفي هذه المرحلة ينم لحم وتجميع القطع التي جهزت وفصلت وتلحم مع بعضها لتكون قطعة واحدة.

الجلي/ وهنا يتم إظهار لون الذهب الأصلي ويستخدم في ذلك مادة تشبه الملح إذ أن الذهب عند صهره يتغير لونه إلى السواد.

التهليش/ وفيها يتم تلميع الذهب وإعطائه اللمعان وتستخدم في ذلك ماكنة تسمى(الهلاشة).

مواد وأدوات الصائغ

يستخدم الصائغ عند إنتاجه لقطعة ذهبية أو فضية مجموعة من الأدوات والمواد التي قد تطور وتحدث بعضها وأصبح كهربائيا، ومن المواد التي يستخدمها الصائغ ما يلي[٢٧] :-

البوق/ وهي مادة تشيه السكر تساعد على إذابة اللحام.

الجلي/ وهي مادة تشبه الملح تستخدم لإزالة السواد من الذهب عند تسخينه.

ريتا/ مادة تشبه حبة البندق توضع في الماء وبعد فرك الذهب تعطيه اللمعان.

أما أدوات الصائغ فهي[٢٨]:-

المته/ عود من الخشب في اسفله ثقب حديدي وفي أعلاه خشبة أفقية يلف عليها خيط ينزل من الأعلى يستخدم لثقب القطعة الذهبية.

البودقة/ وعاء صغير من حجر توضع فيه المقادير المراد صهرها.

الغيزك/ وعاء حديدي مستطيل الشكل يفصله قاطع وسطي إلى قسمين يسكب فيه الذهب المصهور من اجل طرقه فيما بعد على أشكال مختلفة.

المبرد/ هو بأحجام مختلفة يستخدم لصقل القطعة الذهبية من النتوءات والزوائد.

السندان/ حديده كبيرة ترتكز على ساق حديدية مدببة مثبتة في الأرض تستعمل لطرق القطعة الذهبية بواسطة المطرقة.

المقص/ يستعمل لقطع وتقسيم الذهب والفضة.

المطرقة/ تستخدم لطرق السبيكة وتحويلها إلى أشكال مختلفة.

الكورة والمنفاخ/ يستعملان من اجل الحصول على النار لصهر المعدن.

المنشار/ آلة صغيرة فيها حديده رفيعة طويلة تربط أعلى طرفي المنشار تسمى(الشعرة) تستعمل لعمل الزخارف والتخريم.

تنظيم حرفة الصياغة

شهدت المدن العربية ومنها الموصل قيام تنظيمات مهنية اقتصادية واجتماعية عرفت بالأصناف وذلك في عهد الخلافة العثمانية قامت بدور مهم في الحياة العامة، وخضعت تلك الأصناف لتنظيم دقيق إذ كان لكل مهنة نظام خاص بها لاسيما في أصول الانتساب للمهنة والترقي في درجاتها وكل ما يتعلق بممارستها[٢٩]، وهذه التنظيمات تتمثل ألان بالجمعيات والنقابات.

ومن بين هذه الأصناف صنف الصاغة وكان لهذا الصنف نقيب مسؤول يسمى شيخ الصنف وغالبا ما كانت هذه المسؤولية تنتقل في الأسرة الواحدة من الأب إلى الابن إذ استأثرت بها اسر معينة في الموصل[٣٠]، وكان لهذا الصنف جمعية مقرها شارع النبي جرجيس وهيئتها الإدارية: سليمان خروفة رئيسا واحمد سعد الدين زيادة والحاج أيوب بن مصطفى وفتحي بن عبد الله وعبد الله بن احمد الملا رحو وتوفيق الحاج احمد ونعوم الياس وعبو الياس شعو وقاسم بن يحي وهارون بن حيو.[٣١].

وقد كان الصياغ في سوق الصاغة يحتكمون إلى رئيس الصنف في فض النزاعات، ومن مهام رئيس الصنف أيضا ختم الذهب وتحديد المعيارية أي بمثابة الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية إذ لم يكن هذا الجهاز موجود في تلك

الفترة، وقد كان الصاغة يجلبون الذهب في علب نهاية يوم العمل ويضعوها في خزنة رئيس الصنف (سليمان خروفة) وبدوره يضعها في حقيبة حديد يحملها اثنان من الحمالين ويذهبون بها إلى بيته فهو المؤتمن في السوق.

الذهب والأبعاد الاجتماعية

كان الذهب وما يزال يستهوي الناس بشكل عام فهو مصدر للثراء والجاه والرفعة وكان علية القوم يتبارون في جمع كميات منه وخزنه، حتى الدول العظمى رصيدها الاحتياطي من الذهب، والنساء هم الأكثر اهتماما بالذهب إذ يستخدمنه كحلية وزينة يتزين بها لذا يطلق عليه المثل الذهب زينة وخزينة .

ومن الجدير بالذكر انه في بلدنا العراق تختلف النساء الريفيات عن نساء المدينة في اختيارها لنوع الحلي التي تتزين بها إذ تميل النساء الريفيات إلى اختيار المصوغات المعروفة قديما مثل المنتشي والكردانة بينما تميل نساء المدينة إلى المصوغات الحديثة والمستوردة و المصاغة في قوالب كما هناك اختلاف بين نساء الشمال عن نساء الوسط والجنوب في اختيار المصاغ.

ويُقدم الذهب هدايا في المناسبات بين العوائل في الزواج والولادة كما كان يقدم هدايا للوفود الزائرة للعراق، وقد كان هناك من الصاغة من يصنع السيوف والخناجر الذهبية ويقدمها هدايا إلى الحكام في منتصف القرن العشرين كما أن السياح الأجانب الذين يتوافدون إلى العراق يميلون إلى اقتناء المصوغات لهم ولعوائلهم.

إلا أن صياغة الذهب في العراق مرت بفترة كساد وانحسار في فترة التسعينات من القرن العشرين إذ إن الحصار الاقتصادي الذي تعرض له العراق اثر في القدرة الشرائية للمواطن، كما انخفضت الثقة بالذهب العراقي فبعد احتلال العراق وفقدان المتابعة من قبل الجهاز المركزي التقييس والسيطرة النوعية وتوقف عمله أصبح من الصاغة اليوم من يعمل دون إجازة كما تعرض الذهب إلى التلاعب في

نسبة المواد التي تضاف إليه وأمسى بعيدا عن النسب المعتمدة عالميا، هذا فضلا عن أن ضعف حركة السياحة والسفر في العراق أثرت سلبا على سوق الذهب.

أما عن حرفة الصياغة اجتماعيا فهي من الحرف التي لها مكانة اجتماعية مميزة من بين الحرف الشعبية الأخرى إذا ما قورنت بها كالحدادة والسباكة والنجارة وغيرها، كانت هذه الحرفة وراثية تنتقل من الأجداد فالآباء فالأبناء وقد اشتهرت في مدينة الموصل عوائل تعمل في الصياغة مثل عائلة خروفة التي انتقلت هذه الحرفة بين أبنائها وتوارثوها حتى أن مثلا أطلق عليهم لدقتهم في الوزن وجودة الصياغة وهو(خشما ميزان ابن خروفة)، كما اشتهر في مدينة الموصل الصابئة المندائيين إذ برعوا في صياغة الفضة وكانوا يعملون في شارع حلب ثم انتقلوا إلى سوق الصاغة وعملوا مع الصاغة المسلمين فالعراق يكاد يتفرد بصياغة الفضة المطعمة بالمينا السوداء.

كان الصاغة في السابق يجلسون على مقعد خشبي بسيط وأمامهم خانة خشبية مزججة لعرض المصوغات التي كانوا يستخدمون في صياغتها أدوات بسيطة كالكورة والمطرقة والسندان وهذا المشهد هو ما نشاهده أيضا في الوقت الحاضر فمحلات الصاغة هي صغيرة إلى حد ما ولكل صائغ واجهة من الزجاج يعرض فيها ما عنده من مصوغات كما لكل صائغ مقعد له ومقاعد أخرى بسيطة لزبائنه، بينما خضعت هذه الحرفة شأنها شأن أي حرفة وقد خضعت هذه الحرقة إلى التنافس في العمل والتخصص فبعد أن كان الصائغ يقوم بعمله كاملا ويعلم تلاميذه وصناعه على العمل المتقن ففي السابق كان الصاغة المهرة يتدربون على النقوش بمادة النحاس ومن ثم يقوم الاسطة باختبار مهارة صناعه في صناعة الأشياء البسيطة ثم ينقلهم إلى الصياغة الأكثر دقة من قلائد وأساور مبرومة والخواتم المرصعة باللؤلؤ والأحجار الكريمة، أصبحت هناك تخصصات في الصباغة فقد يتميز صائغ عن آخر في منتج معين أو نقش محدد وهكذا.

مهنة أخرى إلى عامل التطور في أسلوب الصياغة وفي أدواتها وانتشرت في مختلف المدن العراقية إذ لا تخلو مدينة عراقية من وجود الصائغ فيها إلا أن الكاظمية والعمارة والموصل من أشهرها[٣٢].

وقد خضعت هذه الحرفة إلى التنافس في العمل والتخصص فبعد أن كان الصائغ يقوم بعمله كاملا ويعلم تلاميذه وصناعه على العمل المتقن ففي السابق كان الصاغة المهرة يتدربون على النقوش بمادة النحاس ومن ثم يقوم الاسطة باختبار مهارة صناعه في صناعة الأشياء البسيطة ثم ينقلهم إلى الصياغة الأكثر دقة من قلائد وأساور مبرومة والخواتم المرصعة باللؤلؤ والأحجار الكريمة، أصبحت هناك تخصصات في الصباغة فقد يتميز صائغ عن آخر في منتج معين أو نقش محدد وهكذا.

المبحث الثالث/خاتمة البحث

استنتاجات البحث

من خلال بحثنا لحرفة الصياغة قديما وحديثا في مدينة الموصل تبين أنها حرفة تاريخية تراثية موغلة في القدم فقد عرفها الآشوريين وكان منهم الصاغة وقد اهتم بصياغتهم الملوك والأمراء من الرجال والنساء، وقد حافظ العراقيون ومنهم الموصليون عليها وعلى تراثها واحتفظت تلك الحرفة بمكانة اجتماعية مرموقة الى يومنا هذا إلا أن التغير الذي لحق بجميع مرافق الحياة قد لحق بها أيضا، وفيما يلي استعراض لأهم تلك التغيرات :-

١-دخول المكننة الحديثة والكهرباء والقوالب الجاهزة كأدوات يعتمد عليها الصائغ في عمله بعد أن كان عمله يدوي.

٢-ظهور عدد من الصاغة مهمتهم عرض الذهب وبيعه من دون معرفتهم بأصول الصياغة أي أنهم بمثابة تجار للذهب وهذا ما لم يكن موجود سابقا.

٣-ظهور النقابة العامة للميكانيك والطاقة والتعدين والتي ينضم إليها الصياغ وتكون ممثلة لهم بعد أن كان الصياغ ينضمون إلى صنف الصياغ حسب نظام الاصناف للمهن الذي كان معمول به سابقا.

٤- من التغيرات السلبية التي طرأت على الذهب العراقي فقدان مصداقيته ودقة معياريته والتلاعب فيه بسبب عدم فحصه من قبل جهاز التقييس والسيطرة النوعية.

٥-إقبال الناس على اقتناء الذهب المستورد من الإمارات وغيرها والمصاغ في قوالب جاهزة وخاصة لأهل المدينة بعد أن كان الناس يهتمون بشراء الذهب العراقي والذي يصاغ خصيصا حسب طلب المشتري.

٦-انتشار محلات الصاغة وخاصة في الآونة الأخيرة في مناطق مختلفة من مدينة الموصل بعد أن كانت محصورة في سوق واحد هو سوق الصاغة.

٧-ظهور تخصصات بين الصياغ فقد يكون احدهم مسؤول عن انجاز مرحلة معيته من مراحل صياغة الذهب وأخر مسؤول عن مرحلة أخرى أو قد يتخصص صائغ ويجيد صياغة قطعة ذهبية محددة بعد أن كان الشمول في العمل الصفة السائدة لدى الصائغ.

التوصيات

١-ضرورة قيام النفابات المهنية المسؤولة عن فئة الصاغة بفتح دورات أو ورش عمل يشرف عليها صاغه مهرة للراغبين أو الداخلين الجدد في مجال الصياغة لغرض تعليمهم فنون وأصول الصياغة.

٢-ضرورة الاهتمام بالذهب العراقي لإرجاع مصداقيته والثقة به من خلال الاهتمام بنقاوته وتثبيت نسبة الشوائب فيه من قبل جهات رسمية مسؤولة.

٣-إجراء دراسات ميدانية عن حرفة الصياغة لإبراز سلبيات ومعوقات وايجابيات الحرفة ودورها في المجتمع.

المصادر

(١) قحطان نشأت عبد الرحمن، الصناعات الصغيرة واقعها في القطر العراقي، اتحاد الصناعات العراقي، ١٩٨٢، ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٨.

(٣) متحف التراث الشعبي، دليل مركز دراسات الموصل، ٢٠٠٧، ص١٧.

(٤) محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ج١، باريس، ١٩٦٠، ص٢٦٤.

(٥) كاظم الطائي، البحث عن الذهب، ٢٠١١/١١/١٣

www.alsabaah.com/Articleshow.aspx?ID=9019

(٦) فؤاد عثمان، الذهب وسيلة للزينة ودلالة على الثراء والجاه، ١/١٥/بدون سنة

www.alitthad.com/paper.php?name=new&file=articale&sid=11726

(٧) عبد الوهاب النعيمي، "سوق الذهب في الموصل"، مجلة موصليات، مركز دراسات الموصل، عدد١٥، حزيران٢٠٠٦، ص٧-٨.

(٨) هنري ليمي، الصياغة في العراق القديم، ج٢، ترجمة: حسيب حديد، ٢٠١١/٨/١٠

www.mosul.network.org/index.php?da=artical&id=19314

(٩) طرق صياغة الذهب، بدون تاريخ،www.elso9.com/showthread.php?=3469

(١٠) أقدم حرفي في مهنة صياغة الفضة بحلب، ٢٠٠٦/١١/٣

www.syria-news.com/readnews.php?sy_seq=41649

(١١) طرق صياغة الذهب، مصدر سابق

(١٢) فؤاد عثمان، مصدر سابق

(١٣) طرق صياغة الذهب، مصدر سابق

(١٤) فؤاد عثمان، .مصدر سابق

(١٥) عماد غانم الربيعي، كان يا ماكان، مكتب تبارك، الموصل، ٢٠٠٩، ص١٥٥.

(١٦) كاظم الطائي ، مصدر سابق

(١٧) عبد الجبار محمد جرجيس، "مصوغات الموصل الشعبية"، مجلة التراث الشعبي، المركز الفلكلوري في وزارة الإعلام، بغداد، عدد٢، ١٩٨٢، ص١٠٤.

(١٨) عبد الوهاب النعيمي، مصدر سابق، ص٩

(١٩) عماد غانم الربيعي، مصدر سابق، ص١٤٥-١٥٥.

(٢٠) المصدر نفسه، ص١٥٦.

(٢١) محمد حسين جودي، أشغال المعادن وأصول توجيهها، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧٥، ص٧٠-٧٢.

(٢٢) لمياء صبيح جبار، الصناعات الشعبية في العراق، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٩، ص٤٢.

(٢٣) جمال الحنفي، الصناعات والحرف البغدادية، مديرية الفنون والثقافة الشعبية، بغداد، ١٩٦٦، ص٣٤.

(٢٤) عبد الجبار محمد جرجيس، مصدر سابق، ص١٠٩-١١١.

(٢٥) لمياء صبيح جبار، مصدر سابق، ص٤٥.

(٢٦) عماد غانم الربيعي، مصدر سابق، ص١٥٦.

(٢٧) عبد الجبار محمد جرجيس، مصدر سابق، ١١٢-١١٣.

(٢٨) لمياء صبيح جبار، مصدر سابق، ٤٣-٤٤.

(٢٩) نمير طه ياسين، الصناعات والتنظيمات المهنية في الموصل، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، في التاريخ الحديث، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٢،ص٣٤.

(٣٠) متحف التراث الشعبي، مصدر سابق، ص١٧.

(٣١) عماد غانم الربيعي، مصدر سابق، ص١٥٦.

(٣٢) الصناعات الشعبية في العراق ، ٢٠١١/٣/٥

www.alhadhariwa.net/dataarch/dr/hndex99.htm